

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدرس الثالث والأربعون

[قراءة المتن]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد:

يقول المؤلف - رحمه الله تعالى -:

باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول

وقول الله تعالى: (وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ) (١١٠) الآية.

عن ابن عمر، ومحمد بن كعب، وزيد بن أسلم، وقتادة - دخل حديث بعضهم في بعض - : أنه قال رجل في غزوة تبوك: ما رأينا مثل قرائتنا هؤلاء، أرغب بطوناً، ولا أكذب ألسناً، ولا أجبن عند اللقاء - يعني رسول الله ﷺ وأصحابه القراء - فقال له عوف بن مالك: كذبت، ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله ﷺ. فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ ليخبره فوجد القرآن قد سبقه. فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته، فقال: يا رسول الله! إنما كنا نخوض ونتحدث حديث الركب، نقطع به عنا الطريق. فقال ابن عمر: كأني أنظر إليه متعلقاً بنسعة ناقة رسول الله ﷺ، وإن الحجارة تنكب رجليه - وهو يقول: إنما كنا نخوض ونلعب - فيقول له رسول الله ﷺ: (أَبَا اللَّهِ وَأَيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِؤْنَ) ما يتلفت إليه وما يزيده عليه.

[الشرح]

بسم الله الرحمن الرحيم، قال المصنف - رحمه الله -:

◆ "باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول"

كأن الترجمة تحتاج إلى تنمة: تنمة هذه الترجمة فقد كفر هذا الذي يدل عليه سياق الآيات والأحاديث فجواب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول فقد كفر

◆ هذا الباب باب مهم ، وتستجدي الحاجة إليه لاسيما في أزمنة يتجرأ فيها المبطلون والسفهاء والعابثون على

شرع الله ودينه وكرام أمته فيحتاج إلى التذكير فيه وقد وقع نظيره في زمن النبي ﷺ وأنزل فيه آيات

"والهزل": المراد به المزاح، والسخرية، والاستهزاء، "باب من هزل بشيء فيه ذكر الله"

شيء: أي شيء فيه ذكر الله يعني مما يتعلق بذاته أو أسمائه أو صفاته أو شرعه أو بقدره كل ذلك يصلح أن يكون أو ينطوي تحت قوله "فيه ذكر الله" سواء تعلق بذاته أو أسمائه أو بصفاته أو بشرعه أو بقدره. كل ما أضيف إلى الله وجرت فيه سخرية وهزل فانه يدخل في ذلك فمن - مثلا - هزأ بخلق الله سبحانه وتعالى لبعض الهوام والحشرات ونحو ذلك فقد هزأ بقدره وخلقته، ومن تناول على بعض صفات الله - عز وجل - التي أثبت لنفسه وسخر من إثبات ما أثبت الله لنفسه من صفات الكمال ونعوت الجلال الثابتة بالكتاب والسنة لاسيما الصفات الخيرية كالوجه واليدين والعينين والساق . فإن بعض المتهوكين يستجرهم الشيطان ويحملهم على التفوه بكلام في هذا الأمر يلحقهم بالمزح والسخرية بشيء فيه ذكره . قل مثل ذلك فيما يتعلق بأسمائه في شرعه لو أن إنسان سخر بحد من حدود الله وقال تريدون أن نقطع أيدي السراق إذا استحيل نصف المجتمع إلى مقطوعي أيدي ما هذا ونحو هذا العبث كما قال أوله : "يدٌ بخمسٍ مئين عَسجدُ فُديت ... ما بالها قُطعت في ربع دينار"، فإذا خرج ذلك مخرج السخرية دخل في معنى الترجمة.

أو القرآن هناك من يهزأ بالقرآن - والعياذ بالله - كأن مثلا يأتي إلى بعض سوره أو بعض آياته فيخذها مادة للهزأ يقول في سورة اسمها سورة الجن اعتقاد الخرافات والعماليق والى آخر ذلك بعضهم هؤلاء الذين لا يرجون الله وقارا يصدر عنهم كلمات في السخرية من القرآن العظيم، أو الرسول بعضهم لا يبالي أن ينال من مقام نبينا محمد ﷺ فيسخر من سنته كأن يسخر من قول النبي ﷺ في النساء أنهم ناقصات عقل ودين ويتخذها مادة للنقد والتنقص وغير ذلك دون أن يعرف مراد النبي ﷺ في هذا الذي قال.

إذا - عافانا الله وإياكم - هذا الهزل والسخرية والهزل يقع بصور متعددة والذي لا يتقي الله - عز وجل - يندلق لسانه ويجري في هذا المضمار ولا يبالي، وقد قال النبي ﷺ إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقى لها بالا تهوي به في النار سبعين خريفا - عيادا بالله - حتى قال الراوي كم من كلم منعنيها حديث بلال بن الحارث المزني راوي الحديث لأن كلمة واحدة يفوه بها لا يلقى لها بالا لا يظن ن تبلغ ما بلغت تهوي به في أسفل الدركات.

◊ قال وقول الله تعالى (ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب)

الخطاب للنبي - صلى الله عليه وسلم -

ولئن سألتهم : المراد بهم المنافقون ولا يخفاكم أن المنافقين كانوا موجودين زمن النبي ﷺ بل إن النفاق نجم بعد غزوة بدر لما أظهر الله الإسلام نجم النفاق لأنها اشتدت شوكة المسلمين فصار الذين يتظاهرون بالكفر يتسترون

بالإيمان ويظهرون أنهم مسلمون والأمر ليس كذلك فنجم النفاق بعد بدر وظلوا - والعياذ بالله - حتى آخر عهد النبي - صلى الله عليه وسلم -

حتى أن النبي ﷺ أسر إلى حذيفة ابن اليمان بأسماء المنافقين أسماء المنافقين وأعيانهم لكن نبينا ﷺ كما أمره الله كان يعاملهم على ظواهرهم ويكل إليهم سرائرهم إلى الله ويغلظ عليهم

(يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير) هذه الآية لها قصة ستأتي بإذن الله، (ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب)

(نخوض ونلعب): يعني أننا لم نقصد الاستهزاء وإنما كنا نتجاذب أطراف الحديث ونقطع الطريق بما يتحدث به المسافر مع صاحبه

(إنما كنا نخوض ونلعب) إنما: أداة حصر لا يعني الأمر هذه الدائرة الضيقة نخوض ونلعب فرد الله تعالى عليهم في تنمة الآية:

(قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون) هذا الاستفهام للتوبيخ والتقبيح

(قل أبالله): أي ألم تجدوا مادة للهزأ والسخرية إلا أن يكون ذلك في حق الله وآياته ورسوله (قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعقوا عن طائفة منكم نعذب طائفة)

◊ إذا هذه الآية مناسبة جدا للترجمة:

لأن فيها ما يدل على كفر من هزل بشيء فيه ذكر الله أو الرسول أو القرآن لأنه قال (لا تعتذروا قد كفرتم) ولهذا قلنا أن تنمة الباب من حيث المعني من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول فقد كفر.

◊ *فنستفيد من هذه الآية:-

- أن الاستهزاء بالله وبالقرآن وبالرسول كفر ينافي التوحيد؛ واعلموا يركم الله أن من بعض العوام من يفوه بكلمات لا يحسب لها حساب في كثير من المجتمعات الإسلامية يوجد قوم من الجفاة الغلاظ الذين من السوق الذين يسبون الدين يسبون دين المرء، ويلعنون ويفوهون بكلمات تقشعرا لها الأبدان فمن استهزأ بالله أو بالقرآن أو بالرسول فقد كفر كفرا مخرجا من الملة لهذا طعن في أصل الاعتقاد

- نستفيد أيضا أن من فعل الكفر وحتى لو لم يعلم أنه كفر أنه يحكم بكفره ولو لم يعلم ذلك أنه قال هذا القول قول كفري وهذا الفعل فعل كفري، ثم يكون تحقيق الأمر عليه إذا انتفت الموانع وتمت الشروط لأنه ربما مثلا كان مكرها على سبيل المثال وما صدر منه هذا القول الكفري تحت ضغط السلاح أو ربما قاله وهو يهزي من النوم أو نحو ذلك

لكن يوصف القول بأنه كفر ويوصف الفعل بأنه كفر إذا كان كذلك ولا يحقق الحكم عليه إلا باستيفاء الشروط وانتفاء الموانع ولما علم الله من حال هؤلاء المنافقين أنهم قد استوفوا الشروط وانتفت الموانع في حقهم حقق عليهم الكفر وقال: (لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم)

- ونستفيد أيضا من هذه الآية من مفهومها لا من منطوقها نستفيد من هذه الآية وجوب تعظيم ذكر الله، وكتابه، ورسوله لأنه ما استحق أن يوصف بالكفر من هزئ بشيء من ذلك إلا لأن الأصل في هذه الأمور التعظيم والتبجيل،

وهكذا ينبغي - أيها الأخوة الكرام - أن يكون لهذه المعاني العظيمة في القلب منزلة فإذا ذكر الله وجل القلب كما قال الله عن المؤمنين (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) فينبغي إذا قرع سمعك ذكر الله - عز وجل - أن يكون لك حال غير الحال التي كنت فيها ينبغي أن يقوم في قلبك من الإجلال والتعظيم لله رب العالمين ما يدل على إيهابك، كذلك حين يذكر القرآن أو يؤتى به

كان نبينا ﷺ يعظم كتب الله لما دعته يهود يوما إلى الحكم في مسألة عرضت لهم قال: (اتتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين)، فاتوا بالتوراة يتلونها وكان النبي ﷺ عنده وسادة فنزعها ووضعها ثم جعل التوراة فوقها وقال آمنت بك وبما أنزلت.

هكذا عظم كلام الله فكيف بالقرآن العظيم، الذي هو أعظم كتب الله وأخرها نزولا وأكملها، فيجب أن يعظم، وكان من الصحابة، لعله عكرمة - رضي الله عنه - عكرمة بن أبي جهل كان إذا مسك المصحف بين يديه يبكي ويقول كلام ربي كلام ربي، وإنا لنأسف أن نجد من الناس من لا يعظم المصحف.

حتى أنك تجد في مثلا في بعض المساجد من الجهلة من يمد رجله أمام حامل المصحف حتى لا يكاد أن يمس يعني بقدمه المصحف، نص الفقهاء أصحاب الحنابلة على منع هذا.

وبل أني رأيت - هذا أمر ينبغي أن ينتبه له المربون من المعلمين والدعاة - رأيت إلى الطلاب من إذا خرج من المدرسة وقد ربط كتبه وبقي ينحدر ولي أمره مثلا أمره أن يجعلها كالعتب ويجلس فوقها والله أعلم فيها قد لا يكون

فيها مصحف لكن قد يكون فيها بل قطعاً فيها من الكتب الدينية المتضمنة للآيات والأحاديث كيف يفعل هذا لما؟ لأنه لم ينشأ على تعظيم كلام الله، وكلام نبيه ﷺ، وإلا فكيف يتخذها مقعداً ويضعها تحته! يجب علينا أن نعظم هذا في نفوس أبنائنا وبناتنا ونجل كلام الله وكلام نبيه ﷺ.

- أيضاً نستفيد من الآيات قبول توبة المستهزئ إذا تاب لا يقال له خلاص لا رجعه لا أمل باب التوبة مفتوح من أين نأخذ ذلك، من قول الله تعالى: (إن نعت عن طائفة منكم)؛ فدل ذلك على أن باب العفو مفتوح، والله تعالى إذا عفا أو لم يعفوا فإن ذلك مقترن بحكمته، ويعفوا عن التائب، ولا يعفوا عن المصر، فالنادم التائب يعفو الله عنه (إن نعت عن طائفة منكم) أما من كان مصراً غير مبالاً ولا آبٍ فإنه لا يستحق العفو.

- نستفيد أيضاً فائدة أخرى وهي أن الكفر كفران كفر اعتقادي وكفر عملي، خلافاً للمرجئة فإن المرجئة يقصرون الكفر فقط على الكفر الاعتقادي، ولا يثبتون كفر عملياً، والصحيح أن الكفر ربما كان بالقول وربما كان بالاعتقاد، وربما كان بالعمل فالكفر بالاعتقاد أن يقوم في قلبه - والعياذ بالله - من النكران والإباء والاستكبار، حتى ولو لم ينطق بلسانه فإذا قام في قلبه شيء من هذا المعاني الناقضة للتوحيد فقد كفر لا اعتقاده أو أن يعتقد عقيدة باطلة كعقيدة الجهمية ويزعم أن الله تعالى لا يتسمى باسم ويتصف بصفه فينكر الأسماء والصفات فهذا كفر اعتقادي، ربما كفر بالقول بأن يفوه بكلام كفري كما وقع لهؤلاء أو كسب النبي ﷺ أو نحو ذلك،

وربما وقع الكفر بالعمل كأن يسجد لصنم أو أن يلقي المصحف أكرمكم الله في القاذورات أو نحو ذلك من الأفعال المنافية للإيمان والصحيح أن الكفر كفران كفر اعتقادي وكفر عملي

◆ ثم لننظر في القصة التي ساقها:

هذه القصة هي في الواقع من المراسيل، ومن المعروف أن المرسل هو ما انقطع أو ما وقع فيه سقط في آخر إسناده يعني من جهة النبي ﷺ.

فقال: "عن ابن عمر ومحمد بن كعب" القربي نعم يعني روايته عن محمد بن كعب وزيد ابن أسلم وقاتدة هذا يجعلها في حكم المرسل، وهو مرسل أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم، وإسناده حسن

"عن ابن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن الأسلم وقاتدة"، وابن عمر: هاهنا هو عبد الله ابن عمر بن الخطاب فيكون متصلاً من هذا الوجه، قال: وأما محمد ابن كعب: فهو محمد ابن كعب السليمي القربي، كان مدنياً، وهو من ثقة التابعين، وفاته سنة مائة وعشرين، وأما زيد ابن أسلم: فهو ثقة مشهور، وهو مولى عمر ابن الخطاب - رضي الله عنه - وكانت وفاته سنة ست وثلاثين ومائه، وقاتدة هو قاتدة بن عامر السدوسي، تقدم ذكره مرات

"دخلا حديث بعضهم في بعض": يعني السياق التالي مجموع أحاديثهم معا لا حديث واحد منهم ولكن ضمت أحاديث بعضهم لبعض

وهذا يحصل في الإخباريات كثيرا ما يذكر ابن إسحاق في السيرة هذا النسق يقول دخل حديث بعضهم ببعض كأن يسوق قصة رجل فيذكر عن جمع عن الزهري وعن غيره ثم يقول دخل حديث بعضهم في بعض ويسوق الأمر بجملته، ولا شك أنه يغتفر في الإخباريات ما لا يغتفر في الأحاديث التي تتضمن عقائد وأحكام ونحو ذلك

يقول: "أنه قال رجل في غزوة تبوك" وغزوة تبوك، هي آخر غزوة غزاها النبي ﷺ، وتبوك بادية في بادية الشام في ذلك الوقت وهي تقع شمال المملكة، وكان تلك الغزوة سنة تسع من الهجرة. قال ذلك الرجل: "ما رأينا مثل قراءنا"، هؤلاء المراد بالقراء، جمع قارئ، وهو وصف كان يطلق على الفقهاء الصحابة، الذين يحفظون القرآن والسنة فيقال عنهم القراء، "قال ما رأينا مثل قراءنا هؤلاء" أرغب بطونا" أرغب بطونا كناية عن ماذا؟ يعني أنهم عندهم نهمه في الأكل والشرب، وأن بطونهم كبيرة وواسعة من كثرة الأكل يستهزئ ويسخر بهم أرغب بطونا، "ولا أكذب ألسن، ولا أجبن عند اللقاء" يعني أقذع في السخرية بفقهاء الصحابة - رضوان الله عليهم - بأنه همهم الأكل والشرب وأن ألسنتهم كاذبة وأنهم جبناء في المعارك، "يعني رسول الله ﷺ وأصحابه القراء فقال له عوف ابن مالك" يعني هذا منافق سفیه تجراً على هذا الكلام في محضر وكان ممن حضر ذلك عوف ابن مالك الأشجعي - رضي الله عنه - "وابن مالك": هو صحابي معروف كانت أول مشاهدته خبير وله عدة أحاديث مروية كانت وفاته سنة ثلاثة وسبعين، "قال له عوف ابن مالك كذبت" وحق له أن يقول لك، فهذا كلام لا يحتمل، فقال له: "كذبت ولكنك منافق" مثل هذا الكلام لا يمكن أن يلتمس لقائله عذر أو يعني يعتذر له ولكنك منافق، "لأخبرن رسول الله ﷺ": وهذا يدل على جواز الوشاية في مثل هذه الأمور فإن هذا ليس مذموما وليس من باب النسيئة لما فيه من المصلحة الظاهرة التي يترتب عليها حفظ حوزة الدين وقطع ألسنة العابثين والمفسدين،

"فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ ليخبره فوجد القرآن قد سبقه" - الله أكبر - لأنه علمه العليم الخبير فأخبر الله نبيه بما جرى، "فجاء ذلك الرجل" الذي أطلق تلك الكلمة إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقد ارتحل وركب ناقته فقال: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونتحدث حديث الركب: يعني المسافرين، "نقطع به عنا الطريق" انظروا كيف يعني يؤتى يعني البيان ليعتذر عنه يعني لفعلة لم يضق بأن يصب كلاما يعذر به لأنهم مشهورين بهذا (وجاء المعذرون) عندهم من الصياغات وصف الكلام وزخرفة القول ما يعني يلجأون إليه في هذه المضائق وقال إنما كنا نخوض ونتحدث حديث الركب نقطع به عنا الطريق.

"قال ابن عمر كأني أنظر إليه متعلقا بنسعة ناقة رسول الله ﷺ"

ما النسعة؟ النسعة عبارة عن سير مشدود مضفر من الجلد يكون عريضا يشد به الرحل على البهيمة بحيث لا يسقط يشد به على البعير فيثبت الرحل فهو متعلق بنسعة ناقة رسول الله ﷺ،

"ونبي الله لا يلتفت إليه ماض في ضربه يمشي"، يقول ابن عمر واصفا المشهد:

"وان الحجارة تنقب رجليه" يعني تضرب رجليه وهو يعني يتبع النبي ﷺ ويعتذر إليه

وهو يقول إنما كنا نخوض ونلعب فيقول له رسول الله ﷺ ممتثل ما أمره الله تعالى أن يقول "أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم ما يلتفت إليه وما يزيده عليه"

◆ *فهذه القصة مفسرة للآية التي أوردها المصنف والحديث مناسب جدا للباب:

لأن فيه بيان للآية التي جاءت تحت الترجمة.

◆ *فنستفيد من هذا الحديث وهذه القصة:-

- بيان حال المنافقين وما تنطوي عليه نفوسهم من الحقد والغیظ على دين الله

وهذا - أيها الإخوان - كما هو موجود في المنافقين السابقين موجود وربما كان أشد في منافقي زماننا الذين يحملون أسماء المسلمين ويعيشون بين ظهرانيهم وفي قلوبهم من النقرة على دين الله وعلى أهل دين الله من العلماء والمشايخ والدعاة وأهل الفضل ما الله به عليم فتجدهم تنضح قلوبهم، وأقلامهم ألسنتهم باللمز والغمز، والطعن، وإرادة السوء فهي سورة تتكرر في كل حين فتجد يعني يهزؤون من قناة الدين ويذمون شرائعه بطرق ملتوية ثم إذا ضاقت بهم السبل ووجهوا قالوا لا أردنا كذا وكذا يتظاهروا بالاعتذار

- أيضا نستفيد كفر من استهزئ بشيء فيه ذكر الله أو آياته أو رسله، وذلك أن القوم قد ذموا القراء وذموا رسوا الله ﷺ لأنه قال في الحديث "يريدون بذلك قال يعني رسول الله ﷺ وأصحابه القراء" فقد أردوا مجموع النبي ﷺ وأصحابه الذين هم على دينه ووصفهم قراء لا أنهم سبوا أحدهم بأنه بخيل أو نحو ذلك لوصفه لا لوصفه قارئاً لوصفه من حملة الشريعة فهم أرادوا الطعن بهم لهذا الوصف الديني

- كذلك أيضا نستفيد ما أشرنا إليه سابقا أن الإخبار عن الفساد والمفسدين ليس من النميمة المحرمة فالتبليغ عن أصحاب الفساد هذا ليس من النميمة المحرمة فإذا علم الإنسان قوم يخططون لجريمة أو يشيعون الفاحشة بين

المؤمنين أو مثلاً يتجرون بالمخدرات أو نحو ذلك من الأمور الضارة بالمجتمع فالتبليغ عنهم عبادة وقربة إلى الله - عز وجل -

ولهذا قال النبي ﷺ في قصة أخري هذا الذي وفي الله بأذنه لما أخبر النبي ﷺ في ما قال بعض المنافقين قال هذا الذي وفي الله بأذنه يعني أنه نقل هذا القول، إذا ما هو النقل المحرم؟ هو ما أقصد به المضار فمن سمع، سمع الله به ومن ضار، ضار الله به أما ما كان لتحقيق مصلحة ودفع مفسدة فهذا ليس من النسيمة بل هو من النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم وعلى الإنسان أن يتبين فلا يختلط عنده هذا بهذا بل يكون على بينة من أمره

- وفيه أيضاً وجوب الغلظة على المنافقين وأشباههم من الفساق وغيرهم انظر قول عوف قال "كذبت ولكنك منافق" وأحياناً يحتاج المؤمن في بعض المواقف إلى غلظه لمن يستحق أن يغلظ عليه أما من صدر منه شيء جهلاً فالأصل فيه الرفق فإن الله يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف أو كان لابد مثلاً أمره غير ظاهر وإنما يعني يوالي وشاهد ذلك أن اليهود أو أنهم نفر من اليهود أتوا النبي ﷺ ودخلوا عليه وقالوا: السام عليكم، فقال: النبي ﷺ وعليكم، فقالت: عائشة وعليكم السام واللعنة، فقال: النبي ﷺ ما بك يا عائشة، فقالت: ألا تسمع ما يقولون يا رسول الله، فقال: قد أجبت وقلت وعليكم إن الله يعطي على الرفق ما لا يعطي إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله وفي رواية فإن الله يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف فهذا من أساليبهم أما من صرح بذلك فإنه يعامل بما يقيمه ويمنعه من التهادي.

- طيب أيضاً نستفيد أن ليس كل عذر مقبول ليس كل من اعتذر قبل عذره من الأعذار ما ينبغي أن يقبل، وهكذا ينبغي للمؤمن أن يكون قابلاً للعذر قد جاء في صحيح البخاري ((ما شخص أحب إليه العذر من الله)) فالله سبحانه وتعالى يحب العذر لكن ليس كل عذر يقبل وإلا لكان الإنسان يعني مستغفلاً فينبغي أن يميز الإنسان بين مقام ومقام ولهذا قال ربنا (فمن عفا وأصلح) فقرن العفو بالإصلاح فإذا كان في عفوك إصلاح فحي هلا، أما إذا كنت عفوت تمادى صاحبك أو الشخص في خطأه فلا. مثال ذلك: لو إنسان أتى إليك وقال يا فلان العذر، والسموحة أنا والله اغتبتك وأرجوا أن تسامحني ثم رأيت عليه مظاهر الندم فقل غفر الله لك وعفا عنك لا تعد إليه. فلما كانت الغد جاءك وقال لك اغتبتك للمرة الثانية وبعد غد قال اغتبتك فهل يستحق العفو أم لا مثل هذا فينبغي أن تقول له لا حتى يرتدع وتعقل لسانه على أن يفسد دينه ويسيء إليك فيفرق الإنسان بين مقام ومقام.

ومن ذلك: أيضاً ما يجري أيها الإخوان عندما تقع حوادث السيارات أو غيرها من الجنايات ليس في كل حال فينبغي العفو لأن من السفهاء من كان من إذا غلب على ظنه أنه إذا فعل من فعل سيعفى عنه ويسقط عنه الحق يظل

في سفه وطيشه لكن لو علم أن الأمر ليس كذلك وأنه سيكون عرضة للعقوبة المادية أو الحسية حجزه ذلك عن التماذي.

◆ لنستمع إلى المسائل.....

[قراءة المتن]

-الأولى: هو العظيمة أن من هزل بهذا كافر

[الشرح]: وهذا بين وواضح بل هذا المشار إليه "بالله وآياته ورسوله"

[قراءة المتن]

-الثانية: أن هذا هو تفسير الآية فيمن فعل ذلك كائن من كان

[الشرح]: نعم هذا هو تفسير الآية وهو ما دلت عليه القصة

[قراءة المتن]

-الثالثة: الفرق بين النميمة وبين النصيحة لله ولرسوله

[الشرح]: النميمة يراد به الإفساد بين الناس، وأما النصيحة فيراد بها الإصلاح حتى لو ترتب عليها أذى لذلك

المخبر عنه

[قراءة المتن]

-الرابعة: الفرق بين العفو الذي يحبه الله وبين الغلظة على أعداء الله

[الشرح]: كما أسلفنا - فالعفو الذي يحبه الله المقرون بالإصلاح، وأما الغلظة فإن الله تعالى أمر بالتغليظ على

المنافقين (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم)

واعلموا - يا رعاكم الله - أن من القواعد التربوية أن الغلظة أحيانا تكون أنجي في بعض الأحوال فمثلا الجرح

أحيانا لا يبرأ إلا بشقه وإخراج الفاسد منه فكذلك بعض الناس بعض الأشخاص لا ينفع معه إلا التغليظ، وقد

جري لنا ولغيرنا يعني أن جربنا في بعض الحالات أنه إذا غلظ عليه أيقظه من سكرته، ولو أن الإنسان ظل يرفرق

لهم بكلام لأدى ذلك إلى تماذيه وفي هذا يعني وقائع مشهودة

[قراءة المتن]

-الخامسة: أن من الاعتذار مالا ينبغي أن يقبل

[الشرح]: وقد تقدم معنا

[قراءة المتن]

باب ما جاء في قول الله تعالى:

(وَلَيْسَ أَذْقَنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضِرَاءٍ مَسَّتْهُ لِيَقُولَنَّ هَذَا لِي) الآية.

قال مجاهد: هذا بعلمي وأنا محقوق به.

وقال ابن عباس: يريد من عندي.

وقوله: (قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي) (١١٢)

قال قتادة: على علم مني بوجوه المكاسب.

وقال آخرون: على علم من الله أني له أهل. وهذا معنى قول مجاهد: أوتيته على شرف.

[الشرح]

يقول المصنف - رحمه الله --:

◊ باب قول الله تعالى (ولئن)اللام: هذه هي لام القسم(ولئن أذقناه) إلى ما مرجع الضمير إلى الإنسان إما جنس الإنسان وإما إلى الإنسان المنحرف الضال

(ولئن أذقناه رحمة منا)

المراد بالرحمة: مثلاً الغني والصحة والعز وما أشبهه من أنواع النعم لأنها رحمة، (ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء

مسته) ما الضراء أضرار ذلك الفقر والمرض والذل والعقم وما أشبهه، (ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته

ليقولن هذا لي): أراد بقوله هذا لي كما سيأتي في تفسيرات السلف يعني أني مستحق له جدير به إلى غير ذلك

(وما أظن الساعة قائمة): يعني يبلغ به الأمر إلى إنكار البعث،

(ولئن رجعت إلى ربي) في حال احتمال أن قامت الساعة

(إن لي عنده للحسنى) فأنا جدير بأن أكون من المقدمين كما قال صاحب الجنتين فيما ذكر الله سبحانه وتعالى في سورة الكهف (ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا) فعنده كفر الشك في البعث أبعث أم لا، قال الله تعالى معقبا على هذه المقالة:

(فلننبئن الذين كفروا بما عملوا) هذا أسلوب تهديد ووعيد (ولنذيقنهم من عذاب غليظ)

ثم ذكر المصنف - رحمه الله - أقوال السلف من المفسرين:

◆ منهم قول مجاهد ابن جبر - رحمه الله - في قوله: (ليقولن هذا لي)؟

أي هذا بعلمي وأنا محقوق به أي هذا الذي نلته من العز والتمكين وغير ذلك بعلمي وبجهدي بكدي بحذقي وبكياستي كما قال قارون (إنما أوتيته على علم عندي) فلم يثني بالخير على مسديه وإنما نسب الفضل إلى نفسه، وقوله "وأنا محقوق به" عني أنا مستحق له

وقال ابن عباس يريد من عندي (ليقولن هذا لي) يعني من عندي وليس من عند الله تعالى الله عن ذلك

وقوله (إنما أوتيته على علم عندي) قال قتادة على علم مني بوجوه المكاسب وهذه كلمة يقولها كثير من التجار الذين بسط الله لهم تجده أنه إذا جلس في مجلس أخذ يذكر أمجاده الشخصية وماذا فعل وكيف تمكن من فعل كذا ويعني يغفل وينسى أن الله سبحانه وتعالى هو الذي يسر له، وفتح له أبواب الرزق، وأنه مرت به الأزمات فكان على شفير الفقر، وأن الله استنقذه كل ذلك يطويه ويأخذ بالثناء على نفسه، وحذقه، وكياسته، وتجاربه وغير ذلك كما وقع لقارون (إنما أوتيته على علم عندي)

وقال آخرون على علم من الله أني له أهل: كما قال ربنا - عز وجل - : { فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن } يعني أنا مستحق لذلك أنا محل كرامه

(فيقول ربي أكرمن) هذا في معنى قوله أني له أهل،

وهذا معنى قول مجاهد: أوتيته على شرف يعني أني جدير به لأنني من بيت شرف وغير ذلك وهذه أيها الأخوة من آفات النفوس - عافانا الله وإياكم - هذه آفات النفوس غير المحبته النفوس الزاهية التي تترفع وتنسى فضل المنعم سبحانه وبحمده.

*فستفيد من الآية التي جعلها الشيخ - رحمه الله - يعني ترجمة للباب -:

-أولاً: وجوب شكر النعمة، والثناء بها على مسديها وهو الله سبحانه

واعلموا - يراكم الله - أن الشكر يكون بثلاثة أمور (بالقلب وباللسان وبالجوارح) كما قال الناظم:

أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا

فيجب أن يشكر العبد ربه بقلبه فيغتنب بنعمة الله ويشعر بقلبه أن الفضل لله

وبلسانه فيلهج دوما في مجالسه بالثناء على الله - عز وجل -، وبجوارحه فيسخر هذه الأعضاء في طاعة الله وامتنال أمره هكذا يكون الشكر

-الفائدة الثانية: تحريم الخيلاء، والعجب، والاعتزاز بالنفس تحريمه وذمه أيضا

-أيضا نستفيد من ذلك وجوب الإيمان بالبعث لأن الله تعالى نعى عليه وغلظ عليه لأنه كان في جملة ما قال (وما أظن الساعة قائمة)

-ونستفيد أيضا الوعيد على من كفر بنعمة الله تعالى وذلك ما ختم الله تعالى به الآية قوله: (فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ) والعذاب الغليظ هو العذاب الشديد.

والله أعلم؛؛